Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللفظ ، والذين ضعفت فيهم ملكة العقل غضوا من شأن المعنى فضلوا جميعا طريق الأسلوب الحق ، فلا هؤلاء سلموا من معرة العى ولا اولئك سلموا من نقيصة الهذر »[1]. لقد ادرك بفكره ماأدركه عصرنا الحاضر من صعوبة تقسيم العمل الأدبى إلى لفظ ومعنى ، أو صورة وفكرة . لأنهما « فى الأسلوب كل لايتجزأ ، ووحدة لاتتعدد ، وليس أدل على ذلك من أنك اذا غيرت فى الصورة تغيرت الفكرة . واذا غيرت فى الفكرة تغيرت الصورة ، فقولك : أعنيك ، غير قولك إياك أعنى ، وقولك : كل ذلك لم يكن ، غير قولك : لم يكن كل ذلك ، فترتيب الألفاظ فى النطق لا يكون إلا بترتيب المعانى فى الذهن ... »[2]

وعبد القاهر ينفى ان تكون معتبرا مفكرا فى حال للفظ حتى تضعه بجنبه أو قبله ... والألفاظ اذا كانت أوعية للمعانى فانها لامحالة تتبع المعانى فى مواقعها ، فاذا وجب لمعنى أن يكون اولا فى النفس ، وجب للفظ الدال عليه ان يكون مثله أولا فى النطق ، فأما ان تتصور فى الألفاظ ان تكون المقصودة قبل المعانى بالنظم والترتيب ، وأن يكون الفكر فى النظم الذى يتواصفه البلغاء فكرا فى نظم الألفاظ ، أو ان تحتاج بعد ترتيب المعانى إلى فكر تستأنفه لأن تجىء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن ، ووهم يتخيل إلى من لايوفى النظر حقه[3] » .

وليس غريبا وقد جعل عبد القاهر مدار الحسن والمفاضلة بين الكلام فى النظم ان تتوارى عنده فى الظلام قيمة اللفظ المفرد من حيث هو لفظ ، أى قبل دخوله فى التركيب والصياغة . وتصبح قليلة الجدوى . لأنه لا مجال للمفاضلة بين الألفاظ هكذا إلا فى اضيق الحدود . فليس « الليث » مثلا أدل على السبع المعلوم من « الأسد » وليس « رجل » أدل على معناه من « فرس » على ما سمى به ، ان ما يمكن ان تمتاز به لفظة على أخرى قبل ان يجمعهما النظم ينحصر عنده فى « أن تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ، أو أن تكون حروف هذه أخف ،

---

(١) دفاع عن البلاغة ص٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص٦٠ . وانظر التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى ص ١٨٤ . وأسرار البلاغة ص٨ ، ٩ . ودلائل الاعجاز ص٤٠ . ودراسات فى النقد العربى الحديث ص١٠١ .

(٣) دلائل الاعجاز ص٤٢ ، ٤٣ وانظر ص٣٦ ، ٣٧ .